مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 25–03–2021

أثر تسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والإقراء وحركة التدوين في علم القراءات

The effect of Tasbee 'Ibn Mujahid on the movements of reading and reading and the movement of recording in the science of readings

د. أمال جعبوب
oum_annace@yahoo.fr
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة

تاريخ الإرسال: 2019/10/08 تاريخ القبول: 2020/12/22

الملخـــص:

يعد التسبيع نتاج عملية التدوين والاختيار للقراءات وتمييز الصحيح من الشاذ، إذ رافق نشأة التدوين في هذا العلم منذ بداياته، وظهرت في عقبه ردود ومعارضات عند أهل الأداء والمصنفين، ونتجت عنه اتجاهات في التدوين، مما أثرى الساحة العلمية للقراءات، وحرّك عجلة التصنيف، وبرّز طريق النص في الرواية، فانتقلت القراءة من مجرد النقل الروائي القائم على السماع والعرض إلى النقل النصي القائم على التقعيد والتنظير، ومن مجرد الرواية الشفاهية إلى مرحلة التثبت في القراء وتمحيص المرويّات، وظهر بذلك طريق النص في الرواية رديفا لطريق الأداء، هذه وغيرها من الظواهر التي برزت في ساحة علم القراءات في عقب تسبيع ابن مجاهد، ويعنى هذا البحث بدراسة أهم الآثار العلمية لتسبيع ابن مجاهد في حركتي القراءة والتدوين في علم القراءات .

الكلمات المفتاحية: التسبيع؛ ابن مجاهد؛ القراءات؛ التدوين؛ أثر.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

Abstract:

The seven readings (tasbiae) is among the chronicling process and the choosing and selecting for reading and discriminating the correct from the off-beat, as accompanied the creation of chronicling in this science since its beginning, it appeared after it reactions and disagreements at the performance and the classifiers and as result it appeared trends in chronicling which enriched the scientific field (domain) of readings and moved the wheel of categorization and appeared the path of the test in the quenching

The reliance of reciters move out from the elders (cheikhs) from just hearing recitals to the reliance of readings through the contents of books and the documentation of exams; this one and other phenomenon that appeared in the reading science through Ibn moudjahid's seven readings .

This research is cared about the studying of the most important scientific effects of the seven readings in both readings and categorization in the science of reading.

Keywords: The seven readings**,** categorization**,** tasbiae**,** Ibn moudjahid**,** the choosing**.**

المقدمـــة:

تعددت جهود علماء القراءات في جمع القراءات الصحيحة وتدوينها في مصنفات ونظم كثيرة العدد ومتنوعة المضامين، لينتقلوا بالقراءة بعدها من مجرد النقل الروائي القائم على السماع والعرض إلى النقل النصي القائم على التقعيد والتنظير، وساهم في ذلك عدد من العلماء عملوا على ضبط القراءات في متونها وجمعها من مصادرها الروائية وتثبيتها في مظانها النصية، وكان لإمام عاصمة العباسيين، وشيخ قرائها أبي بكر بن مجاهد، دورٌ كبيرٌ في تحريك عجلة التأليف في علم القراءات، ويتجلى هذا الأثر من خلال استحواذه على

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

فضل الأوّلية لكثير من الظواهر العلمية التي جاءت في عقب تسبيعه للقراءات، كحصره للقراءات واعتماده نهج الاختيار للقراء، والانتقال بالقراءة من مجرد الرواية الشفاهية إلى مرحلة التثبت في القراء وتمحيص المرويّات، وتمييز الصحيح من الشاذ، كما كان لحصر القراءات بالعدد سبعة الأثر الكبير في الدفع بالعلماء وأهل الأداء للتأليف والتدوين في القراءات، وجمعها من طرقها الروائية التي صحت لهم، فعملوا على توثيقها وألفوا كتبا على أثرها، وظهر بذلك طريق النص في الرواية رديفا لطريق الأداء، فما هي الأسباب العلمية التي دفعت ابن مجاهد لاختيار العدد سبعة دون ما سواه؟ وما هي مواقف العلماء من تسبيع ابن مجاهد وكيف كانت ردودهم عليه؟ وإلى أي حد بلغ تأثير التسبيع على حركتي القراءة والتدوين في علم القراءات؟

هذه التساؤلات وغيرها هي ما يحاول البحث الإجابة عليها متبعة في ذلك المنهج الوصفي، واخترت عرضه وفق الخطة التالية:

خطة البحث:

المبحث الأول: معنى التسبيع وسبب اختيار ابن مجاهد للعدد سبعة وقيمة كتاب السبعة .

المطلب الأول: معنى التسبيع .

المطلب الثاني: القيمة العلمية لكتاب السبعة .

المطلب الثالث: معنى التسبيع وسبب اختيار ابن مجاهد للعدد سبعة .

المبحث الثاني: أثر التسبيع في حركتي القراءة والإقراء .

المطلب الأول: ظهور عملية اختيار القراء .

المطلب الثاني: إعمال شروط القراءة الصحيحة .

المطلب الثالث: وسم القراءات الأخرى بالشذوذ .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

المبحث الثالث: أثر التسبيع في حركة التدوين في علم القراءات .

المطلب الأول: ردود العلماء على تسبيع ابن مجاهد .

المطلب الثاني: أثر التسبيع في المصنفات في القراءات .

المبحث الأول: معنى التسبيع وسبب اختيار ابن مجاهد للعدد سبعة وقيمة كتابه السبعة:

المطلب الأول: معنى التسبيع:

لغة: من (سَبَّعَ) والسَّبْعُ والسَّبْعَةُ من العدد: معروف سَبْعُ نسوة وسَبْعَةُ رجال، وفي الحديث "أوتيت السبع المثاني" وفي رواية: "سبعا من المثاني" قيل: هي الفاتحة لأنها سبع آيات ... وسبع فلان القرءان إذا وظف عليه قراءته في سبع ليال، وسبع الإناء: غسله سبع مرات، وسبع الشيء تسبيعا جعله: جعلته سبعا[1]" .

اصطلاحا: لم أجد في حدود ما بحثت – والله أعلم – تعريفا اصطلاحيا للتسبيع إلا ما شاع في استعمالات علماء القراءات ومصنفيها من إطلاق اللفظ على كل من اختار القراءات السبعة المتواترة التي اختارها ابن مجاهد[2] سواء في القراءة أو التصنيف، فيقال لمن قرأ بقراءات القراء السبعة "قرأ بالسبع " ولمن صنف في القراءات السبعة "سبَّع القراءات[3]"، وهو ما ميز حركة القراءات بعد ابن مجاهد كما سيأتي بيانه .

[1]– لسان العرب 145/8 و147. وينظر: تاج العروس: 21/ 175– 179 .

[2]– هو: **أحمد بن موسى بن العباس أبو بكر بن مجاهد:** كبير العلماء بالقراءات في عصره، من أهل بغداد، كان حسن الأدب، رقيق الخلق، فطنا جوادا، له كتب في القراءات منها كتابه السبعة، توفي سنة: 324هـــ " . ينظر ترجمته في: غاية النهاية: 1/ 139 والأعلام: 261/1 .

[3]– ومنهم كتابا جامع البيان والتيسير في القراءات السبع للإمام الداني، والعنوان في القراءات السبع لأبي طاهر بن خلف النحوي، ونظم حرز الأماني للإمام الشاطبي .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

ويلزم من نسبة الاختيار لابن مجاهد أنه لا يصح في استعمال علماء القراءات أن يطلق التسبيع ويراد به المعنى اللغوي أي "اختيار سبع قراءات" فيُعمد بذلك إلى اختيار سبع قراءات من غير التي اختارها ابن مجاهد كاستبدال قارئ من السبعة بآخر من غيرهم بما يوافق العدد سبعة، بل ينحصر التسبيع في اختيار قراءة الأئمة السبعة البدور دون ما سواهم .

وعليه يمكن تحديد مصطلح التسبيع في المعنى التالي: "**التسبيع: هو التزام اختيار ابن مجاهد للقراء السبعة المشهورين**" .

ومنه يطلق لفظ المسبع على كل من وافق ابن مجاهد في اختياره لهؤلاء القراء ممن أتى بعده، ومنهم المؤلفون في السبع كالإمام الداني في التيسير وجامع البيان والإمام الشاطبي في الحرز وغيرهم، ولا يلزم من ذلك موافقة ابن مجاهد في اختيار الرواة والطرق عنهم، بل المعتبر هو اختيار القراء السبعة المشهورين ولو بروايات وطرق تخالف اختيار ابن مجاهد في كتابه السبعة .

المطلب الثاني: سبب اختيار ابن مجاهد للعدد سبعة:

اختلفت أقوال العلماء والباحثين حول اختيار ابن مجاهد للعدد سبعة، فهل كان الأمر مقصودا من ابن مجاهد أم كان محض صدفة، وانقسموا على أثر ذلك إلى فريقين:

الفريق الأول: قال بأن العدد مقصود بذاته، وأن ابن مجاهد قصد اختيار سبع قراء ورد ما بعد السبعة وإن كانت قراءتهم صحيحة مشهورة، وهو قول كثير من الأئمة والعلماء، يقول ابن الجزري: "والذي قاله الأئمة أن ابن مجاهد لم يجعل القراء الذين في كتابه سبعة دون أن لا كانوا أكثر أو أقل إلا تأسيا بعدة المصاحف التي وجهت إلى

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

الأمصار من عثمان –رضي الله عنه– وتبركا بقوله – ن: "أنزل القرآن على سبعة أحرف[1]".

وممن قال بهذا الرأي الإمام مكي بن أبي طالب القيسي الذي أجاب في كتابه الإبانة عن سبب جعل القراءات سبعا و لم تكن أكثر أو أقل بقوله : " الجواب أنها جعلت سبعا لعلتين:

إحداهما: أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف، ووجه بها إلى الأمصار، فدل عدد القراءات على عدد المصاحف .

والثانية: أنه جعل عددها على عدد الحروف التي نزل بها القرآن، على أنه لو جعل عددها أكثر أو أقل لم يمنع ذلك، لأن عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى[2]".

الفريق الثاني: قال بأن العدد غير مقصود، وإنما قصد ابن مجاهد اختيار القراءات التي توفرت فيها شروط القراءة الصحيحة فلم تجتمع عنده إلا في هذه السبعة، وعلى هذا فإن العدد سبعة كان محض صدفة، ولو اجتمع عند ابن مجاهد أكثر من ذلك لذكرها، لكن ذلك كان مبلغه من العلم، وممن يرى ذلك ابن الجزري حيث يقول: "وابن مجاهد اجتهد في جمعه، فذكر ما وصله على قدر روايته، فإنه رحمه الله – لم تكن له رحلة واسعة كغيره ممن كان في عصره[3]" .

المطلب الثالث: القيمة العلمية لكتاب السبعة:

[1]– منجد المقرئين: 217 .

[2]– الإبانة: 90 .

[3]– منجد المقرئين: 215

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

يعد كتاب السبعة واحدا من مؤلفات ابن مجاهد، ولا نعلم إن كان الكتاب المقدم عنده في مجموع تواليفه أم لا، لكنه يظل أخص كتب ابن مجاهد وأهمها، وعلما يعرف به فما إن يقال السبعة حتى يجاب لابن مجاهد .

قام ابن مجاهد في كتابه هذا باختيار سبعة من الأئمة القراء، جمع اختيارهم في القراءة أصولا وفرشا، ودونها في كتابه هذا وسماه السبعة بحسب عددهم، يقول الدكتور شوقي ضيف واصفا عمل ابن مجاهد: "فاجتهد للأمة وللدين وقرءانه العظيم وبالغ في اجتهاده حتى استصفى سبعة من الأئمة القراء في أمصار خمسة، هي أهم الأمصار التي حملت عنها القراءات في العالم الإسلامي، وهي المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام، واختار من المدينة نافعا ومن مكة ابن كثير ومن الكوفة عاصما وحمزة والكسائي ومن البصرة أبا عمرو بن العلاء ومن الشام عبد الله بن عامر[1] " .

أما عن اختياره ثلاثة قراء من الكوفة فقال: "ويبدوا أنه رأى لكل قارئ من قراء الكوفة الثلاثة مذهبا متميزا في القراءة ينفرد به عن زميله حمله عنه جلة القراء في العالم الإسلامي، فرأى أن يستبقيهم جميعا، وبذلك أصبح القراء المقدمون عنده سبعة[2] " .

وكان اختياره لهؤلاء الأئمة دون غيرهم، رغم كثرة الأئمة القراء في زمنه، وكذا كثرة الاختيارات عنهم، مرده هو توفر شروط في القراءة والقارئ على السواء، هذه الشروط التي كانت قد توفرت بحسب ابن مجاهد في هؤلاء السبعة دون غيرهم، وكان اختياره لهم من بين ذلك الكم الهائل من الأئمة القراء في زمنهم، يعد تقديما لهم وإعلاء

[1] – مقدمة تحقيق كتاب السبعة: 18 .

[2] – مقدمة تحقيق كتاب السبعة: 18 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

لشأنهم من بين أقرانهم، ولأنهم حازوا مرتبة عالية جعلتهم يتربعون على عرش القراءة والإقراء عند ابن مجاهد [1].

وكتاب السبعة هو أقدم كتاب وصلنا في علم القراءات، فقد قدر الله تعالى له أن يسلم من عوادي الزمن، ويصلنا كاملا، لنعلم من خلاله نهج ابن مجاهد في التأليف وعرض القراءات، فيحوز بذلك على فضل الأَوَّلِيَة[2] في كثير من مسائل علم القراءات، كيف لا وكتاب السبعة هو أول كتاب كامل يصلنا في علم القراءات، وهو أيضا أول كتاب يبين لنا نهج المتقدمين في عرض القراءات، وفي تبويبها وأهم المباحث التي يعنى بدراستها، كما أنه أول كتاب جمع بين علمي الرواية والدراية في القراءات، إذ لم يكتف ابن مجاهد بعرض اختيارات الأئمة القراء، بل عنى كذلك بدراسة هذه الاختيارات والحكم عليها، ورد بعض القراءات مما رأى فيها الضعف [3].

كما أن ابن مجاهد هو أول من عنى باختيار الاختيار، فقد قام في كتابه السبعة بالانتقال من مرحلة اختيار الأئمة القراء لقراءاتهم إلى مرحلة الاقتصار على اختيارات أئمة معينين، فسبع بذلك السبعة[4] .

---

[1]– ينظر: بحث: أسباب اختلاف المصنفين في جمع وتحديد القراءات: أمال جعبوب: 34–35، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد 39، المجلد 30، 2017م .

[2]– **الأولية:** "اسم مؤنَّث منسوب إلى أوَّلَ: صفة الشَّيء الذي يحتلّ المكان الأوّل بقوّته أو قيمته أو خطورته". ينظر: تاج العروس: 36/ 56 – 59، ومعجم اللغة العربية المعاصر: أحمد مختار عمر: 141.

[3]– ينظر: مقدمة تحقيق السبعة: 26 .

[4]– ينظر: الاختيار عند القراء: 90 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

ورغم أن ما قام به ابن مجاهد لم يلق القبول من جهة الحصر عند جميع علماء المسلمين في عصره وفي عصور لاحقة، إلا أنه حرَّك عملية التأليف في القراءات إما ردا على صنيع ابن مجاهد أو تأييدا وتتمة لما صنعه ابن مجاهد بتسبيعه للقراءات، وعليه فقد كان لابن مجاهد من خلال كتابه السبعة أثر كبير في حركتي القراءة والإقراء وكذا حركة التصنيف في علم القراءات وسأفصل في باقي المباحث هذا الأثر مبرزة بذلك جهد ابن مجاهد في كتابه السبعة، والمكانة التي حظي بها هو وكتابه عند علماء المسلمين .

المبحث الثاني: أثر التسبيع في حركتي القراءة والإقراء:

أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة القراءة بالأمصار الإسلامية كلها ولم يقتصر على منطقة العراق فقط، موطن ابن مجاهد، بل انتشر تسبيع ابن مجاهد واختياره في جميع الأقطار واعتمد اختياره في أهم الأمصار العلمية فصار لا يقرأ بما وراء السبعة في أغلبها، كما أنه لم يستطع أحد من العلماء مراجعة ابن مجاهد في تقديم هؤلاء السبعة، إذ ارتضاهم جميع العلماء وأجمعوا عليهم، وصاحب تسبيع ابن مجاهد ظهور عدة مظاهر رافقت عملية التسبيع أو أتت على أثرها وكان لها كبير الأثر في حركة الإقراء سواء في زمن ابن مجاهد أو في عقبه، كظهور عملية اختيار القراء وانتشارها بين المصنفين والمشايخ، وظهور أركان القراءة الصحيحة والعمل بها في الاختيارات، وتقسيم القراءات على أثرها إلى صحيحة وشاذة:

المطلب الأول: ظهور عملية اختيار القراء: بالرغم من أن ابن مجاهد هو أول من دعى لحفظ الاختيار وإيقاف عملية الاختيار التي كثرت وأدت بدورها إلى تعدد الأئمة القراء وكثرة الرواة عنهم بما لا يحصى عددا، إلا أنه لم يقم بحفظ كل الاختيار بل قام بعملية الانتقاء والتمحيص لهذه الاختيارات، وهو عمل لم يسبق له أحد من قبل وإن كان أصل انتقاء القراءة واختيارها هو نهج الأمة منذ نزول الوحي، وهذا حتى لا يقال أن

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

ما قام به ابن مجاهد هو بدعة من الأمر، إلا أن الجديد فيما قام به ابن مجاهد هو انتقاء أئمة دون غيرهم، وهو عمل سابق ومتفرد في عصره وأدى بدوره إلى التأثير بشكل كبير في حركتي القراءة والإقراء[1] .

فقد كان السابقون من العلماء والمصنفين يقرءون ويقرئون لكل من قرءوا عليهم، ولم يكن علماء القراءات قد تواضعوا حتى عصر خلف بن هشام على أئمة بأعيانهم يحملون عنهم وحدهم القرءان، وظل ذلك إلى أن ظهر ابن مجاهد، وقد مضى كثيرون يحملون عن كل قارئ ثقة قراءته يعلمونها الناس في زمنه، ومن بعده ثم إنهم قد يختارون من مجموع تلك القراءات قراءة تنسب لهم على نحو ما فعل الفراء [2]، ولم يسبق لأحد منهم أن اختار شيخا ممن قرأ لهم ورد آخر، ولعل هذا الأمر هو الذي جعل أبو عبيد القاسم بن سلام يصل بالقراءات في كتابه إلى خمسة وعشرين قارئا، وتوسع فيها بعض القراء فيما بعد حتى وصل بها إلى نحو خمسين قراءة[3] .

فيكون ابن مجاهد باختياره لهؤلاء الأئمة القراء قد" قابل بين القراءات الكثيرة التي شاعت في العالم الإسلامي واستخلص منها للناس قراءات يحملونهم عليها حتى لا يتفاقم أمر الاختيار ويلتبس الحق بالباطل وتصبح قراءة القرءان فوضى، لكل أن يقرأ حسب

[1]– ذكر مكي في كتابه الإبانة أنه قد سبق ابن مجاهد في فكرة تحديد القراءات الإمام أحمد بن جبير الكوفي الأنطاكي الذي ألف كتابا في قراءات الخمسة ، أخذ من كل مصر قارئا، ثم من بعده أبو بكر الداجوني ألف كتاب الثمانية وزاد على هؤلاء السبعة قراءة الإمام يعقوب الحضرمي وهو من القراء العشرة . ينظر: الإبانة: 90 –91 .

[2]– كان له اختيار في القراءة أساسه اللغة والنحو .

[3]– ينظر: مقدمة تحقيق السبعة: 10– 12 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

معرفته، بدون بصر تام بوجوه القراءات وبدون تمييز بين المتواتر المشهور منها وغير المتواتر[1]" .

وعليه فقد انتقل ابن مجاهد بالقراءة والإقراء إلى منحى آخر وهو القراءة لأئمة معينين، أو الانتقال من مرحلة الاختيار بمعناه الاصطلاحي إلى مرحلة اختيار اختيارات بعينها وهي قراءة الأئمة السبعة[2].

المطلب الثاني: إعمال شروط القراءة الصحيحة: إذ لم يكن اختياره لهؤلاء السبعة إلا بعد تمحيص بين القراءات والروايات وتدقيق في حال القراء وكذا دراسة وموازنة بين كثير من الأوجه والروايات، واختياره لهم جاء لكونهم المقدمون عنده ولتوفر شروط اجتمعت عنده في القراءة والقارئ على السواء، فأما شروط القراءة فيقصد بها الشروط الثلاثة المشهورة، وهي التواتر وموافقة رسم المصحف ولو احتمالا، وموافقة اللغة العربية ولو بوجه، وقد يقول القائل: هل معنى ذلك أن ابن مجاهد هو أول من وضع هذه الشروط؟ أو هل هو أول من أعمل هذه الشروط؟ والجواب عن ذلك أن ابن مجاهد هو أول من وفق في العمل بهذه الشروط وحتى أوضح هذه المسألة سأجيب عن كل سؤال على حدة:

الأول: هل ابن مجاهد هو أول من وضع هذه الشروط؟ وقع الخلاف عند الباحثين في ذلك، فيرى الدكتور شوقي ضيف هذا القول[3]، ويعده من حسنات ابن مجاهد ومن فضائله على الأمة فيقول: "وبهذين الموقفين لابن مجاهد من ابن مقسم العطار

[1]– ينظر: مقدمة تحقيق السبعة: 12 .

[2]– ينظر الاختيار عند القراء: 90 .

[3]– وبه كذلك يقول الدكتور نبيل بن محمد آل إسماعيل، فقال: "وأول من تكلم في ضوابط القراءات المقبولة حسب علمي ابن مجاهد". ينظر: علم القراءات نشأته وأطواره ...: 36 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

وابن شَنَّبُوذ يكون قد وضع أصلين أساسيين في قبول القراءات: الأصل الأول أن تكون مطابقة لخط المصحف العثماني، والأصل الثاني أن تكون صحيحة السند حملها رواة موثقون حتى زمن القارئ، وسنراه (أي ابن مجاهد) في كتابه السبعة يرد بعض القراءات المروية لأنها لا توافق العربية، وبذلك يكون قد وضع الأصل الثالث لقبول أي قراءة، وهو موافقتها للعربية ولو بوجه أي وجه[1]" .

والصحيح أن ابن مجاهد قد ذكر هذه الشروط في مقدمة كتابه السبعة لكن ليست على أنها شروط أو أركان لا تصح القراءة بغيرها، ولكن ذكرها مجملة في معرض وصفه لأصناف القراء الذين لا تقبل قراءاتهم، فقال: "فمنهم من ينسى فيضيع السماع والرواية وتشتبه عليه الحروف لنقص معرفته بالقراء ومنهم من يعتمد على معرفته بالإعراب ولغات العرب ولا علم له بالقراءات فربما أداه بصره باللغة والنحو إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية و لم يقرأ به قارئ من الماضين[2]".

وقال كذلك في وصف القراءة الصحيحة: "والقراءة التي عليها الناس في المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن أو لهم تلقيا، وقام بها في كل مصر من الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين أجمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه، وتمسكوا بمذهبه على ما روي عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت...[3]" .

أما الدكتور إبراهيم الدوسري فيرى أن أبا عبيد القاسم بن سلام هو أول مـــن

[1]– ينظر: مقدمة تحقيق السبعة: 17 .

[2]– ينظر: السبعة: 45 – 49 .

[3]– السبعة: 49 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

صرح بهذه الأركان [1]، واعتمد في ذلك على نص نقله ابن الأنباري[2] عن أبي عبيد في الوقف على كلمة+ يَتَسَنَّهْ _ بالبقرة [259]، وجاء فيه: "وقال أبو عبيد القاسم بن سلام الأسدي: الاختيار عندي في هذا الباب كله الوقف عليها بالهاء بالتعمد لذلك، لأنها إن أدمجت في القراءة مع إثبات الهاء كان خروجا من كلام العرب، وإن حذفت في الوصل كان خلاف الكتاب، فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الهاءات اجتمعت له المعاني الثلاثة، من أن يكون مصيبا في العربية وموافقا للخط وغير خارج من قراءة القراء[3]".

وعلى هذا يكون وضع هذه الشروط واعتمادها كضابط كان متزامنا مع بداية التدوين في القراءات، وقد صرح ابن جرير الطبري من بعد أبي عبيد بركنين اثنين كما نقله عنه مكي وهما صحة السند وموافقة خط المصحف[4]، ثم جاء من بعده ونصوا على الأركان الثلاثة ومنهم ابن خالويه والمهدوي ومكي وأبو شامة وغيرهم[5].

---

[1]– ينظر: بحث: المنهاج في الحكم على القراءات: إبراهيم بن سعيد الدوسري: ص: 6، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

[2]– هو: **أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة الأنباري:** ولد سنة 271هـ، من أعلم أهل زمانه بالآداب واللغة، قيل كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرءان، ولد في الأنبار وتوفي ببغداد، من كتبه شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، وإيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، توفي سنة 328هـ. ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 15/ 275 – 279، ووفيات الأعيان: 503/1، والأعلام: 6/ 334 .

[3]– إيضاح الوقف والابتداء: أبو بكر محمد بن الأنباري: 1/ 311 .

[4]– ينظر: الإبانة: 10 .

[5]– ينظر: النشر: 9/1 وعلم القراءات: نبيل آل إسماعيل: 36 .وقيل إن أول من صرح بها المفسر الكبير موفق الدين أحمد بن يوسف الكواشي الذي ذكرها في كتابه التبصرة في التفسير فقال: "وكل

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

الثاني: هل ابن مجاهد هو أول من أعمل هذه الشروط؟: والجواب عنه، هو أن هذه الشروط الثلاثة قد تأخر وضعها كشروط وكضابط لقبول القراءات مع تأخر التدوين في القراءات، لكن العمل بها كان قديما منذ نزول الوحي، وما قام به المصنفون عند اعتمادهم لها كضوابط إنما هو عملية استقراء لما كان عليه نهج السابقين من الصحابة والتابعين والأئمة القراء في اختيارهم للقراءات .

فأما شرط التواتر أو صحة السند، فيرجع تاريخه إلى احتكام الصحابة للنبي ن عند اختلافهم في القراءات، وقد كان ن يوجه الصحابة إلى أن يقرءوا كما علموا، وعلى هذا النهج جمع أبو بكر الصحائف فكان لا يثبت بين اللوحين إلا ما ثبت سماعه عن النبي ن وتلقي عنه، وكان عمر بن الخطاب يقول: "من كان تلقى من رسول الله شيئا من القرءان فليأتنا به[1] "وعليه فالتلقي كان شرطا معتبرا في القرءان الكريم وقراءاته منذ نزول الوحي.

وأما شرط موافقة المصحف فقد ظهر العمل به مع جمع عثمان بن عفان للمصحف وإجماع الصحابة عليه وحرقه غيره من المصاحف وإلزام الناس بالقراءة والإقراء بما يوافقه.

ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية ووافق لفظ المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوص عليها ولو رواه سبعون ألفا مجتمعين أو متفرقين، فعلى هذا الأصل بنى قبول القراءات عن سبعة كانوا، أو عن سبعة آلاف، ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة، فاحكم بأنها شاذة " . النشر: 44/1..

[1]– المصاحف: ابن أبي داود: 17 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

وأما موافقة اللغة العربية، فعلى الرغم من كونه شرطا تكميليا، إلا أن من الباحثين من يعده نشأ مع نزول القرءان بلسان عربي مبين[1].

مما سبق نخلص إلى أن ابن مجاهد قد أعمل شروط القراءة الصحيحة لدى اختياره للقراء السبعة، وإن لم يكن هو أول من وضعها، لكنه سار على نهج السابقين من حيث العمل بهذه الأركان، ولعل ما يحسب لابن مجاهد مقارنة بغيره من المصنفين قبله هو توفيقه في عملية إعمال شروط القراءة الصحيحة، والتي أنتجت اختياره للأئمة القراء السبعة، فلم ينكر أحد من السابقين أو اللاحقين اجتماع الأركان الثلاثة في القراء السبعة دون من سواهم، إذ أجمع العلماء على تواترها، وهذا الأمر لم يتحقق لغيره من المصنفين قبله، يقول الدكتور شوقي ضيف: "والمهم أن أحدا لم يستطع أن يراجع ابن مجاهد فيمن رأى تقديمه على القراء من هؤلاء السبعة، فقد ارتضوهم جميعا، ومعنى ذلك أنهم ارتضوا اجتهاده في تقديمهم[2]" .

ولعل هذا الأمر مرده أن ابن مجاهد لم يختر القراء السبعة نافعا وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وأبا عمرو إلا بعد اجتهاد طويل ومراجعة متأنية في السنوات الطوال غير مدخر جهدا ولا قوة، متكلفا للأمة ما تنوء به العصبة القوية من العمل المرهق العسير، حتى استطاع أن يستخلص للناس تلك القراءات الوثيقة[3]".

[1]– ينظر ما تقدم في بحث : المنهاج في الحكم على القراءات: 5–6 .

[2]– مقدمة تحقيق كتاب السبعة: 20 .

[3]– مقدمة تحقيق كتاب السبعة: 21 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

فيكفي ابن مجاهد فخرا "أنه استطاع أن يستخلص للأمة سبع قراءات متواترة لقرآنها العظيم من خلال أكداس من الآثار والروايات والقراءات، وكأنما اختارته العناية الإلهية ليحمل أعباء هذه المهمة الخطيرة[1]".

المطلب الثالث: وسم القراءات الأخرى بالشذوذ: لم يكتف ابن مجاهد باختياره للقراءات الصحيحة، بل وصف ما عداها بالشاذة، وهو الأمر الذي لم يسبقه إليه أحد، حتى إنه عُدّ المؤسس لعلم شواذ القراءات، فقد ألف في هذه القراءات كتابا سماه الشواذ، هذا الكتاب الذي يعد الأساس الأول لكتاب المحتسب لابن جني، إذ بنى على ما ذكره ابن مجاهد في كتابه الشواذ .

قال ابن جني: "وأنا بإذن الله بادئ بكتاب أذكر فيه أحوال ما شذ عن السبعة، على أننا ننحى فيه على كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله، الذي وضعه لذكر الشواذ من القراءة[2]".

وبذلك يكون ابن مجاهد قد وضع تعريفا جديدا للشذوذ خلاف المعنى الذي كان متعارفا عليه وهو مخالفتها لرسم المصحف، يقول الدكتور غانم قدوري عن مفهوم الشذوذ لدى ابن مجاهد: "لكن ابن مجاهد حين ألّف كتاب (السبعة في القراءات) وضمنه القراءات الصحيحة المشهورة قد أوحى بمعنى جديدة للقراءة الشاذة وهو أن كل ما عدا القراءات السبع شاذ[3]".

وقد أدى عمل ابن مجاهد هذا إلى رد كثير من القراءات المشهورة بين الناس في ذلك الزمن، كيف لا وهو الذي قلص القراءات من ذلك العدد الكبير والكم الهائل الذي

[1]– مقدمة تحقيق كتاب السبعة: 26 .

[2]– المحتسب: عثمان أبو الفتح ابن جني: 1/34–35 .

[3]– محاضرات في علوم القرءان: 1/ 146 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

لا يحصى، وحصرها في سبعة ورد ما عداها، هذا الأمر الذي لم يقبله كثير من العلماء إن في عصر ابن مجاهد أو في عصور لاحقة وفتح الباب على مصراعيه للرد عليه، بل واتهامه بإهدار الكثير من القراءات الصحيحة في زمنه .

ودافع بعض العلماء والدارسين عن موقف ابن مجاهد، وعدوا صنيعه هذا بمثابة إعادة ترتيب للقراءات من حيث درجة الصحة، فليست كل القراءات على نفس الدرجة من الصحة وعلو السند، بل إن منهم من تأول معنى الشذوذ عند ابن مجاهد وقال بأنه لا يعني رد القراءة وإنما المراد أنها دون القراءات السبع في الشهرة[1]، وممن قال هذا الرأي ابن جني الذي عرف الشذوذ عنده وعند ابن مجاهد والذي لا يعني الضعف فيقول أن القراءات ضربان: "ضرب اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار وهو ما أودعه أبو بكر بن مجاهد – رحمه الله – في كتابه الموسوم بقراءات السبعة... وضرب تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذا أي خارجا عن قراءة القراء السبعة... إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه[2]".

وهذا الكلام وإن كان صحيحا من حيث كون المعتبر هو الشهرة إلا أنه يتعارض مع قول ابن مجاهد في كتابه السبعة الذي يفهم منه رد القراءة بما سوى القراءات السبعة التي أثبتها، وإن كان صادرا عن أحد الأئمة السبعة، فيقول: "فهؤلاء سبعة نفر من أهل

[1]– يقول الدكتور شوقي ضيف: "وهو لا يقصد أنها شاذة لا تصح القراءة بها، إنما يقصد أنها تأتي وراء السبعة في عدد من يقرءون بها في الأمصار" . ينظر: ينظر مقدمة تحقيق السبعة: 20 .
وهذا الكلام خلاف ما ذكره ابن جني في المحتسب الذي صرح بعدم صحة الصلاة بها فقال: "إلا أننا وإن لم نقرأ به في التلاوة مخافة الانتشار فيه، ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية، فإننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذا، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله وأراد منا العمل بموجبه .." المحتسب: 33/1 .
[2]– المحتسب: 1/ 32 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

الحجاز والعراق والشام، خلفوا في القراءة التابعين، وأجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار، إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفا شاذا، فيقرأ به، من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة، فذلك غير داخل في قراءة العوام ولا ينبغي لذي لب أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزا في العربية، أو مما قرأ به قارئ غير مجمع عليه[1] " .

فقد رد ابن مجاهد رحمه الله تعالى ما انفرد بالقراءة به الأئمة السبعة إن لم يكن مشهورا عند العوام، ذلك أنه قد يرد عن الأئمة السبعة الذين تلقت العامة قراءتهم بالقبول، حروفا مفردة لم يقبلها العلماء، وهي خارجة عن قراءة العامة التي أقرأ بها الإمام منهم، لذا لا يعد كل ما روي عنهم في درجة واحدة من القبول بل ما كان معروفا بالنقل من الطرق المعتبرة عند أهل الشأن، وعلى هذا فإن الحكم بقبول قراءة السبعة هو فيما اختاروه وأقرءوا به العامة وانتشر دون تلك الأفراد التي لا يخلوا منها إمام منهم[2].

والذي يظهر من كلام ابن مجاهد أن أساسه في اختياره هؤلاء السبعة دون غيرهم من الأئمة القراء هو اشتهار القراءة في الأمصار الخمسة التي بعثت إليها المصاحف وكذا في غيرها من الأمصار، هذا بالإضافة إلى شروط الصحة الثلاثة، ويتجلى ذلك من خلال قوله: "وأجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار"، وقال كذلك في موضع آخر: "والقراءة التي عليها الناس في المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن أو

[1] – السبعة: 87 .

[2] – ينظر: بحث: هل أنكر ابن جرير قراءة متواترة أو ردها: مساعد الطيار: مركز تفسير للدراسات القرءانية: 2003/10/22م، http: //vb.tafsir.net/tafsir991/#.V3Dyi9IeSko.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

لهم تلقيا، وقام بها في كل مصر من الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين أجمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه[1]" .

والتبس معنى العامة عند بعض الباحثين ففهم أن المراد به عامة الناس أو ما اصطلح عليه بـــ "الرأي العام " و"حدس الجماهير[2]"، بينما المراد بذلك عامة القراء والعلماء المشتغلين بالإقراء، يقول مكي بن أبي طالب القيسي في معنى اجتماع العامة عليه: "والعامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة، فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار، وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين، وربما جعلوا الاختيار ما اتفق عليه نافع وعاصم، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات وأصحها سندًا وأفصحها في العربية، ويتلوها في الفصاحة خاصة قراءة أبي عمرو والكسائي رحمهم الله[3]".

[1]– السبعة: 49 .

[2]– ذكر صبري الأشوح في كتابه إعجاز القراءات القرءانية ما سماه بعبقرية التناغم بين ابن مجاهد واتجاهات الرأي العام فقال: "بعد أن استوعب ابن مجاهد تراث القراءات كاملا ...لم يبق أمامه سوى أن يعثر على ضالته المنشودة وهي القراءات التي تجتمع فيها تلك الأركان الثلاثة أكثر من غيرها، وفوجئ ساعتها بأنها القراءات التي التف حولها الناس حين انفضوا عن غيرها ....من هنا حدث التناغم العبقري بين تفكير ابن مجاهد وبين تفكير العوام والذي نسميه "اتجاه الرأي العام"، فأبصر ما لم يبصره غيره، فالتقط القراءات السبعة من الخمسين بصفتها أنها كانت الأكثر شيوعا وشهرة بين الناس والعوام، وأنها هي التي التف الناس حولها بفطرتهم التي فطرهم الله عليها، فالتقى "حدس الجماهير" بـــ "درس العلماء" على كلمة سواء كتب لها الخلد " . ينظر: إعجاز القراءات القرءانية: صبري الأشوح: 68 –69 .

[3]– الإبانة: 89 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

ويقول الإمام الداني: "...ويتضمن من الروايات والطرق ما اشتهر وانتشر عند التالين، وصح وثبت عند المتصدرين من الأئمة المتقدمين[1]" .

وعليه فإن معنى الشذوذ عند ابن مجاهد لم يكن هو الخروج على رسم المصحف، ولكن قصد به ما وراء القراءات السبعة، أما عن سبب شذوذهم فلم تكن الرواية أو رسم المصحف وإنما عدم اشتهار القراءة في الأمصار كما هو الحال في قراءة الأئمة السبعة والله أعلم.

ومما يدل على ذلك أيضا هو استشهاده بقراءات غير القراء السبعة في كتابه السبعة كقراءة أبي جعفر المدني وشيبة بن نصاح وغيرهما [2].

المبحث الثالث: أثر التسبيع في حركة التدوين في علم القراءات:

إن اختيار ابن مجاهد للقراء السبعة من مجموع القراءات المنتشرة في زمنه، هو بمثابة المحرك الذي دفع عجلة التأليف في علم القراءات، ذلك أن ابن مجاهد باختياره للقراء السبعة قد رد غيرهم من الأئمة القراء، وحصر القراءات التي كانت لا تحصى عددا ولا تنحصر كثرة بالعدد سبعة، هذا العدد الذي شكل لوحده مثار إشكال لدى عامة الناس وكذا خاصتهم، فانقسم الناس في زمنه ولأزمنة لاحقة إلى فريقين، فريق مؤيد لعمل ابن مجاهد، وفريق معارض له، هذا الانقسام الذي أثر بدوره على طبيعة المؤلفات بعد ابن مجاهد، حيث انقسمت بدورها إلى مؤلفات سارت على تسبيع ابن مجاهد ومؤلفات قصد مؤلفوها مخالفة ابن مجاهد في تسبيعه، فعشروا وثمنوا وخمسوا القراءات .

[1] – مقدمة التيسير: 2 .

[2] – ينظر مقدمة السبعة: ص: 22، 28، 29 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

وسأفصل فيما يلي أهم ردود العلماء على تسبيعه، لأبين من خلالها أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة التصنيف في علم القراءات .

المطلب الأول: ردود العلماء على تسبيع ابن مجاهد:

اختلفت ردود العلماء على تسبيع ابن مجاهد، وانقسموا على إثر ذلك إلى فريقين، فريق رافض للتسبيع، وفريق مؤيد له وسائر على نهجه في التسبيع، لكنهم أجمعوا كلهم على القراء السبعة، واتفقوا على أن اختيار ابن مجاهد لهؤلاء السبعة لا اعتراض عليه، يقول مكي: "وأول من اقتصر على هؤلاء أبو بكر بن مجاهد وتابعه على ذلك من أتى بعده إلى الآن، و لم تترك القراءة بقراءة غيرهم، واختيار من بعدهم إلى الآن[1]".

وقد أعترض على ابن مجاهد في تسبيعه من عدة جوانب منها:

أ– أن العدد سبعة أشكل على الناس في فهم أن القراءات السبعة هي نفسها الأحرف السبعة: فقد ألقى بعض العلماء اللوم على ابن مجاهد في اختياره سبع قراءات لأن ذلك أشبه على العوام، فظنوا أن الأحرف السبعة المذكورة في الحديث هي قراءة هؤلاء السبعة الذين اختارهم، وفي ذلك يقول الجعبري:

أغفل ذوا التسبيع مبهم قصده فـــزل به الجم الغفير فجهلا
وناقضه فيه ولو صح لاقتـــدى وكم حاذق قال المسبع أخطلا[2]

ويقول المهدوي: "ولقد فعل مسبع هؤلاء ما لا ينبغي له أن يفعله وأشكل على العامة حتى جهلوا ما لا يسعهم جهله وأوهم كل من قل نظره أن هذه هي المذكورة في

[1]– الإبانة : 87 .

[2]– من قصيدته نهج الدِّماثة، ويقول الجعبري في شرح كلامه: أي أتى ابن مجاهد بأمر مشكل حيث لم يصرح بقصده فغلط أكثر الناس فنسبوا إلى الجهل " . ينظر: خلاصة الأبحاث في شرح نهج القراءات الثلاثة: أبو إسحاق إبراهيم الجعبري: 44 –45 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

الخبر النبوي لا غير وأكد وهم السابق اللاحق قال: وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة[1]".

ويقول مكي: "فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء، كنافع وعاصم وأبي عمرو، أحد الحروف السبعة التي نص النبي ن عليها، فذلك منه غلط عظيم؛ لأن فيه إبطالا أن يكون ترك العمل بشيء من الأحرف السبعة، وأن يكون عثمان ما أفاد فائدة بما صنع من حمل الناس على مصحف واحد وحرف واحد[2]" .

ويقول الدكتور شوقي ضيف مدافعا عن ابن مجاهد: "أما أن بعض العامة سبق إلى أذهانهم أن ابن مجاهد اعتقد أن قراءات هؤلاء السبعة هي الحروف السبعة الواردة في الحديث فهو ليس مسئولا عن خطأ غيره أو وهمه، ولو ظن ذلك لأبطل القراءات الأخرى وهو لم يبطلها[3]".

ويقول الدكتور أيمن رشدي السويد: "وعذر الإمام ابن مجاهد في ذلك الرواية، إذ أن الذي تيسر له ووصل إليه من القراءات هو ما رواه عن هؤلاء الأئمة السبعة، وأما ظن العوام وجهلهم فلا يؤاخذ به العلماء، وهل يؤاخذ ابن مجاهد بما سيظنه من بعده بعض جهلة العوام؟ وكيف يظن ظانّ له أدنى مُسْكَةٌ من عقل أن النبي ن قصد بقوله: "أنزل القرءان على سبعة أحرف" قراءة سبعة رجال بعينهم قبل أن يخلقوا بنحو مائة سنة أو

[1]– منجد المقرئين: 214 .

[2]– الإبانة: 36 .

[3]– مقدمة تحقيق السبعة: 20 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

أكثر، ودون أن يسميهم ن، لا شك أن هذا جهل عظيم، ومعتقد هذا في غاية الجهل، وسوء الفهم، ولا يراعى مثله ولا يؤبه له[1]" .

ب– أن حصر القراءات في العدد سبعة أهدر الكثير من القراءات الصحيحة المشهورة في زمن ابن مجاهد: فقد كانت القراءات حتى عصره لا تحصى كثرة ولا عددا يقول مكي: "ثم إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد، كثيراً في الاختلاف، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به[2] " .

وما زاد الأمر إشكالا أن ابن مجاهد رحمه الله تعالى صرح في مقدمة كتابه أن اختياره لهؤلاء القراء السبعة، لأنها القراءة التي عليها الناس في الأمصار الخمسة، يقول ابن مجاهد: "وحملة القرءان متفاضلون في حمله، ولنقلة الحروف منازل في نقل حروفه، وأنا ذاكر منازلهم، ودال على الأئمة منهم، ومخبر عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام[3]" .

وردّ غير واحد من العلماء على ابن مجاهد قوله هذا، إذ أن كلامه يوهم أنه لم تجتمع أركان القراءة الصحيحة إلا في هذه القراءات السبعة، وأنها القراءات التي اجتمع عليها العام والخاص في الأمصار الخمسة وفي غيرها، وفي ذلك يقول ابن الجزري: " غير أنه رحمه الله ادعى ما ليس عنده فأخطأ بسبب ذلك الناس لأنه قال في ديباجة كتابه: "ومخبر عن القراءات التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام "، وليس كذلك بل ترك

[1]– مقدمة تحقيق التذكرة في القراءات الثمان: أبو الحسن طاهر ابن غلبون: ت: أيمن رشدي السويد: 19/1 .

[2]– الإبانة: 86 .

[3]– السبعة: 45 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

كثيرا مما كان عليه الناس في هذه الأمصار في زمانه كان الخلق إذ ذاك يقرءون بقراءة أبي جعفر وشيبة وابن محيصن والأعرج والأعمش والحسن وأبي الرجاء وعطاء ومسلم بن جندب ويعقوب وعاصم الجحدري وغيرهم من الأئمة، وقد تقدم ذكر الذين كانوا يقرءون زمن مشيخته بقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف نحو خمسين شيخا، فكيف يقول: إنه مخبر عن القراءات التي عليها الناس بهذه الأمصار[1]" .

ويقول مكي: "وقد ذكر الناس في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجل قدرا من هؤلاء السبعة[2]" .

ويقول مصححا ما كان ينبغي لابن مجاهد فعله، فقال: "وهذا باب واسع وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا: أن ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق لفظه خط المصحف فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون ألفاً مفترقين أو مجتمعين فهذا هو الأصل الذي بني عليه من قبول القراءات عن سبعة أو سبعة آلاف فاعرفه وابن عليه[3] " .

ت– واعترض كذلك على ابن مجاهد من جهة الأئمة القراء المختارين: فبعض العلماء يرى أن هناك من الأئمة ممن لم يذكرهم ابن مجاهد كانوا مقدمين على من ذكرهم، واشتهرت قراءتهم بين الناس في زمن ابن مجاهد، فيقول مكي: "و لم تترك القراءة بقراءة غيرهم، واختيار من أتى بعدهم إلى الآن، فهذه قراءة يعقوب الحضرمي غير متروكة، وكذلك قراءة عاصم الجحدري، وقراءة أبي جعفر، وشيبة إمامي نافع، وكذلك

[1]– منجد المقرئين: 215–216 .

[2]– الإبانة: 36–37 .

[3]– الإبانة: 90 –91 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

اختيار أبي حاتم، وأبي عبيد، واختيار المفضل، واختيارات لغير هؤلاء الناس، على القراء بذلك في كل الأمصار من الشرق[1]" .

ويقول ابن الجزري: "بل ترك كثيرا مما كان عليه الناس في هذه الأمصار في زمانه كان الخلق إذ ذاك يقرؤن بقراءة أبي جعفر وشيبة وابن محيصن والأعرج والأعمش والحسن وأبي الرجاء وعطاء ومسلم بن جندب ويعقوب وعاصم الجحدري وغيرهم من الأئمة[2]" .

وممن اعترض على ابن مجاهد كذلك، الإمام أبو علي الأهوازي الذي لم ير إخراج يعقوب الحضرمي من القراء السبعة وجعل الإمام الكسائي مكانه، وكذا الحال بالنسبة لأبي جعفر المدني، وقد رد ابن الجزري على هذا القول بأن السبب في ذلك هو الرواية فقال: "وقد قال أبو علي الأهوازي، وغيره: هو الذي أخرج يعقوب من السبعة وجعل مكانه الكسائي؟ قيل: لأن يعقوب لم يقع إسناده له إلا نازلا، وأما جعفر فلم تقع له روايته، وإلا فهو قد ذكر لأبي جعفر في كتابه السبعة من المناقب ما لم يذكره لغيره[3]".

وغير هؤلاء العلماء كثير ممن ردوا صنيع ابن مجاهد في التسبيع، الأمر الذي دفعهم للتأليف في القراءات التي لم يذكرها ابن مجاهد فزادوا على السبعة وأنقصوا، محاولين بذلك إدراك غيرها من القراءات التي لم يذكرها ابن مجاهد من الزوال، وكذا رد فكرة التسبيع التي سيطرت على العوام، وصار الذي يقرأ بغير السبعة كمن قرأ بما لم يترل.

المطلب الثاني: أثر التسبيع في المصنفات في القراءات:

[1]– الإبانة: 87–89 .

[2]– منجد المقرئين: 216 .

[3]– منجد المقرئين: 216 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

لقد أثر تسبيع ابن مجاهد تأثيرا كبيرا في حركة التأليف في القراءات، حيث انبرى العلماء والأئمة القراء في التأليف والتصنيف في القراءات، محاولين بذلك الرد على ابن مجاهد وصنيعه في السبعة، يقول الإمام الرازي واصفا حال العلماء والمصنفين بعد التسبيع: "فلما سبع – أي ابن مجاهد – الأئمة الخمسة بحمزة وعلي وقع ما تقدم في هذا الفصل من الشبهة ما بين العوام، فتوهم بعضهم أن الأحرف السبعة ما اختاره من الحروف هؤلاء السبعة الذين جمعهم ابن مجاهد في كتابه، فمن بعده من المؤلفين، إلى أن رأى أولوا البصائر أن يزيدوا على الأنفس السبعة من المختارين لإزالة تلك الشبهة عن القلوب العوام، و لم يزيدوا من الأئمة السبعة إلى الأئمة الخمسة الذين كانوا في الأصل لأن ذلك تمما لحمزة وعلي بعد أن ألحقهما ابن مجاهد ومن ألف بعد بالخمسة، فلما لم يمكنهم ذلك ورأوا أن العوام قد ينكرون ما جاوز اختيارات السبعة زادوا في العدد على ما نجده من الثمانية فصاعدا[1]" .

وانقسم المصنفون بعد ابن مجاهد إلى فريقين، فريق سار على تسبيع ابن مجاهد وأقره، وفريق خالف ابن مجاهد في التسبيع، فخمَّسوا وثَّمنوا وعشَّروا القراءات، لينتقل بذلك التدوين في علم القراءات إلى مرحلة جديدة مغايرة لسابقتها، وهي مرحلة ما بعد ابن مجاهد، فإن كان التدوين في القراءات مقتصرا على جمع اختيارات الأئمة القراء دون حصر ولا تحديد بعدد معين، فقد انتقل التدوين مع ابن مجاهد إلى مرحلة التمحيص والتدقيق في هذه الاختيارات .

وعليه فقد عد ابن مجاهد رائد مرحلة جديدة من المصنفات في علم القراءات، وهي ما يعرف بالمصنفات المحررة في علم القراءات، في مقابل المصنفات المرسلة، إذ كان التدوين قبل ابن مجاهد يعتمد في منهجه ومادته على جمع القراءات من الطرق والروايات

[1]– منجد المقرئين: 221 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

المقروء بها دون التقيد بقيد أو شرط وقد اكتفى أصحابها بمجرد النقل لما وصل إليهم وسلكوا في ذلك سبيل الرواية المجردة، حيث يكتفي المصنف بإيراد ما وقع في روايته من القراءات دون اشتراط الصحة والشهرة أو أي قيد آخر مخالف أو مشابه، ومما تجدر ملاحظته أن هذه الكتب اشتملت على جملة من القراءات الصحيحة أيضا مع اشتمالها على جملة من القراءات الشاذة والباطلة أحيانا[1] .

أما ابن مجاهد فانتقل بالتصنيف إلى مرحلة التحرير في الطرق والروايات، فاقتصر على سبعة، وهو ما يعرف بالمصنفات المحررة، وهي الكتب التي يعتمد أصحابها على الأشهر المتلقى بالقبول عند الناس، وأول كتاب ألف في هذا النوع هو كتاب السبعة لابن مجاهد [2].

كما ظهرت مع ابن مجاهد فكرة العدد، والتي أثرت تأثيرا واضحا في حركة التصنيف في علم القراءات، وصار لا يخلوا مصنف في القراءات إلا وقد تزين بعدد معين من القراء، سواء كانوا خمسة، أو سبعة، أو عشرة، أو غيرها .

وكان لابن مجاهد كذلك تأثير في مادة المصنفين والمدونين في علم القراءات بعده، ذلك أن أغلب الذي سيدوَّن في القراءات هو إما شارح ومفصل لسبعة ابن مجاهد أو مستدرك على ابن مجاهد سبعته قالٍّ في العدد أو زائدٍ، وهذا إن دل فهو يدل على مدى الأثر الذي خلفه اختيار ابن مجاهد في العام والخاص على السواء، ومدى تغلغل اختيار ابن مجاهد في تآليف العلماء والمتخصصين في القراءات بعده، بل لا يكاد يخلوا مصنف في القراءات بعد ابن مجاهد إلا وله من كتاب السبعة مأخذ، فاستحق بحق أن يكون نقطة

[1]– ينظر: القراءات وأثرها في التفسير: 1/ 215 –221 – بتصرف .

[2]– ينظر: القراءات وأثرها في التفسير: 1/ 231 – 233 .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

محورية وفاصلة في حركة التدوين في علم القراءات والتي شهدت في عقبه ازدهارا كبيرا في مادتها ومناهجها، وهو ما صار يعرف بمرحلة ما بعد ابن مجاهد[1].

الخاتمـــة:

من أهم النتائج التي يمكن الخلوص لها في نهاية هذا البحث:

1. يطلق التسبيع على اختيار ابن مجاهد من جهة النسبة باعتباره أول المسبعين، وعلى من وافقه وحذا حذوه من المصنفين في اختيارهم للقراء السبعة المشهورين دون الرواة والطرق .

2. أن اختيار ابن مجاهد للعدد سبعة له أسباب علمية كثيرة منها موافقة عدد المصاحف السبعة التي كتبها عثمان بن عفان، وكذا موافقتها لعدد الأحرف السبعة، وأهم سبب لها هو اجتماع شروط القراءة الصحيحة في القراء السبعة، وهو ما اتفق عليه أهل العلم قاطبة من بعده.

3. لقي التسبيع في بداياته معارضات وردود كثيرة من أهل العلم من جهة اختيار العدد سبعة ومن جهة القراء المختارين .

4. أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة القراءة والإقراء، فنقل عملية الاختيار من مجرد اختيار الشيوخ للقراءات إلى حفظ الاختيار أو اختيار الاختيارات، فكان أول من حصر القراءات بعدد .

5. يعتبر ابن مجاهد أول من أعمل أركان القراءة الصحيحة، ففرق بين القراءات الصحيحة والشاذة، وأول من أعمل الشهرة والتلقي بالقبول وما عليه عامة الناس في اختيار القراءات .

[1]– ينظر: الاستدراكات عند علماء القراءات – دراسة نظرية تطبيقية –: أمال جعبوب: 104–106، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، 1438هـ/1439هـ – 2017م/2018 م .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

6. أثر تسبيع ابن مجاهد في حركة التدوين فكان بمثابة المحرك له، فازدهر التدوين من بعده وانقسم على أثره إلى قسمين مسبع وغير مسبع مستدرك على ابن مجاهد .

7. انتقل التدوين بعد تسبيع ابن مجاهد إلى مرحلة التمحيص والتدقيق في الاختيارات أو ما يعرف بالمصنفات المحررة، بعد أن كان التدوين في القراءات مقتصرا على جمع اختيارات الأئمة القراء دون حصر ولا تحديد بعدد معين أو ما يعرف بالمصنفات المرسلة .

قائمة المصادر والمراجع:

1. الإبانة عن معاني القراءات: مكي بن أبي طالب القيسي: ت: محي الدين رمضان: ط: 1، دار المأمون للتراث، بيروت، لبنان، 1399هـ/ 1979م .

2. الاختيار عند القراء: مفهومه مراحله وأثره في القراءات: أمين بن إدريس بن عبد الرحمن بن فلاته: بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 1421هـ.

3. الاستدراكات عند علماء القراءات – دراسة نظرية تطبيقية –: أمال جعبوب: رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، 1438هـ/1439هـ– 2017م/2018م .

4. إعجاز القراءات القرءانية: صبري الأشوح: ط 1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1419هـ/1998م .

5. الأعلام: خير الدين الزركلي: ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002 م .

6. إيضاح الوقف والابتداء: أبو بكر محمد بن الأنباري: ت محي الدين محمد رمضان: د ط، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق، 1391هـ/1971م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

7. تاج العروس من جوهر القاموس: محمد مرتضى الحسني الزبيدي: ت: ضاحي عبد الباقي: ط: 1، دار التراث العربي، الكويت، 1422هـ/2001م .

8. التذكرة في القراءات الثمان: أبو الحسن طاهر ابن غلبون: ت: أيمن رشدي السويد: ط 1، دار الرعاية، جدة، 1412هـ/ 1991م .

9. التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو الداني: ط اسطنبول 1349هـ/ 1930م، بتصحيح أوتوبرتزل.

10. خلاصة الأبحاث في شرح نهج القراءات الثلاثة: أبو إسحاق إبراهيم الجعبري: ت: أبو عاصم المراغي إبراهيم بن نجم الدين: ط 1، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1427هـ/2006م .

11. سير أعلام النبلاء: محمد بن عثمان الذهبي: ت: مجموعة من المحققين: ط 11، مؤسسة الرسالة، 1417هـ/1996م .

12. علم القراءات نشأته وأطواره أثره في العلوم الشرعية: نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل: –ط1– مكتبة التوبة _ 1421–2000– الرياض .

13. غاية النهاية: ابن الجزري: ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م .

14. الفهرست: ابن النديم: ت: رضا تجدد: دط، د س.

15. القراءات وأثرها في التفسير: محمد بن عمر بن سالم بازمول: كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة، 1412هـ– 1413هـ.

16. كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد: ت: شوقي ضيف: دط، دار المعارف، مصر .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 34 العدد: 03 السنة: 2020 الصفحة: 15–45 تاريخ النشر: 23–03–2021

17. محاضرات في علوم القرءان: غانم قدوري الحمد: ط1، دار عمار، عمان، الأردن، 1423هـ/2003م .

18. المحتسب: عثمان أبو الفتح ابن جني: ت: عي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار: ط 2، دار سزكين للطباعة والنشر، 1406هـ/1986م.

19. المصاحف: أبو بكر عبد الله بن أبي داوود السجستاني: ت: آثر جفري: ط 1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1355هـ/1936م .

20. معجم اللغة العربية المعاصر: أحمد مختار عمر: ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ/2008م .

21. منجد المقرئين: محمد بن محمد بن الجزري: ت: عبد الحليم قابة: ط 1، دار البلاغ، 1424هـ /2003م .

22. المنهاج في الحكم على القراءات: إبراهيم بن سعيد الدوسري: ص: 6، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

23. النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن الجزري: ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، بينان، 1423هـ/2002م .

24. بحث: هل أنكر ابن جرير قراءة متواترة أو ردها: مساعد الطيار: مركز تفسير للدراسات القرءانية: 2003/10/22م،
http: //vb.tafsir.net/tafsir991/#.V3Dyi9IeSko.

25. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان: ت: إحسان عباس، دط، دار صادر، بيروت .